حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي

للدكتور / محمد بن عبد الله السلمان

- الدكتور محمد بن عبد الله السلمان .
- ولد عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٣م في مدينة عنيزة بالقصيم .
- نال شهادة الماجستير عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م في التاريخ الإسلامي الحديث بتقدير ممتاز .
- نال الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى في التاريخ الحديث من كلية العلوم الاجتماعية بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٦/١٩٨٦م .
- يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في التاريخ الحديث بكلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم ورئيساً لقسم التاريخ فيها .
- من مؤلفاته :

١ ـ رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
٢ ـ الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية .
٣ ـ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي .

تمهيـــد :

الحديث عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حديث طويل لا يفي حقه هذه الصفحات ولكي نلم بالموضوع باختصار يقتضينا ذلك أن نركز على ثلاثة جوانب هامة في الموضوع ، حتى نخرج بصورة كاملة عن هذه الدعوة الإصلاحية .

الجانب الأول : أحوال ماقبل الدعوة السياسية والدينية في العالم الإسلامي عامة ، وفي بلاد نجد خاصة ، والتي دفعت الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى القيام بدعوته مع التعريف بصاحب هذه الدعوة وترجمته باختصار .

الجانب الثاني : حقيقة هذه الدعوة ومبادئُها الرئيسية .

والجانب الثالث : أثر هذه الدعوة وانتشارها في العالم الإسلامي .

وسنتكلم عن كل جانب بحدة ..

أولا : ماقبل الدعوة (سياسيا ودينيا)

أ ــ في العالم الإسلامي : كانت تتزعم العالم الإسلامي سياسيا ــ في شرقه أثناء القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ثلاث دول هامة هي : الدولة العثمانية ، والدولة الصفوية في فارس ، والدولة المغولية في الهند[١]

(١) عبد المتعالي الصعيدي : المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري ص ٤١٦ .

أما الدولة العثمانية : فقد كان سلاطينها ــ في ذلك الوقت من الضعف بمكان بحيث لم يكن لهم من أمر الدولة شيء[1] بل كان الأمر بيد وزرائهم ورؤساء الجيش الانكشاري الذين لايعرفون من أمور السياسة شيئاً وأما الولاة على أقاليم الدولة فقد ساءت إدارتهم فهمهم الأكبر جمع الأموال من شعوب ولاياتهم[2] ، ومما زاد حال الدولة سوءا التدهور العسكري الذي منيت به في ذلك العصر[3] ، فقد أخذت دول أوربا تتألب عليها من كل جانب ، وظهر مايسمى عند المؤرخين بـ (المسألة الشرقية) أي تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بين الدول الأوربية الطامعة[4] .

أما الدولة الصفوية في فارس : (من ٩٠٦ هـ = ١٥٠٠م ــ ١١٣٥هـ = ١٧٢٢م) فبعد نهايتها عام ١١٣٥هـ خلفها أمراء من الأفغان حتى قضى عليهم (نادر شاه) عام ١١٤٢هـ (١٧٢٩م) فنادى بنفسه ملكا ثم أخذ يوسع أملاكه حتى امتدت دولته من الخليج العربي إلى بلاد الهند[5] ولم يلبث أن قتل سنة ١١٦٠هـ (١٧٤٧م) وبمقتله اضطرب أمر بلاد فارس واستمر هذا الاضطراب حتى قيام الدولة القاجارية سنة ١٢٠٣هـ (١٧٨٨م)[6] .

---

(١) محمد محمود السروجي : موقف مصر إزاء بعض مشاكل شبه الجزيرة العربية ، المجلة التاريخية المصرية جـ ٧ ص ٧٢ .

(٢) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي ترجمه عجاج نويهض تعليق شكيب أرسلان جـ ١ ص ٢٥٩ . وانظر عجيل النشمي : دولة الخلافة والحركة الوهابية ، مجلة المجتمع الكويتية العدد ٥١٠ صفر ١٤٠١هـ وما بعده .

(٣) أحمد السعيد سليمان : محاضرات في تاريخ الدولة العثمانية ص ٤ .

(٤) جلال يحيى : العالم العربي الحديث (المدخل) ص ٨٤ .

(٥) عبد المتعالي الصعيدي : المرجع السابق ص ٣٥٠ و ٤١٧ .

(٦) حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص ٢١ .

أما الدولة المغولية في الهند : والتي قامت عام ٩٠٩هـ (١٥٠٥) فما إن حل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) حتى اضطرب أمرها وأصبحت مرتعا للحروب الداخلية بين أمراء الولايات المختلفة مما سهل على شركة الهند الشرقية الانكليزية الاستيلاء عليها ولاية بعد ولاية عام (١٢٧٤هـ = ١٨٥٦م)(١) .

أما المغرب الإسلامي : فلم تكن حالته السياسية بأحسن حظا من مشرقه فتونس والجزائر تابعة للعثمانيين ودولتهم الضعيفة ، وفي مراكش توجد دولة السعديين ، والتي لم تكن من القوة بحيث تقف أمام حملات الأسبان والبرتغال عليها ، إضافة إلى وجود فتن داخلية بين العرب والبربر ، وبين قبائل (الهوسا) مع بعضها وبينها وبين قبائل (الغولان)(٢) .

هذه لمحة موجزة عن حالة العالم الإسلامي السياسية في مشرقه ومغربه وبالجملة فهي حالة سيئة تدل على مايعانيه العالم الإسلامي في تلك الحقبة من فساد سياسي عام . أما حال المسلمين على الحدود والثغور الإسلامية فهي بلاشك أشد سوءا وألما بكثير .

أما عن الحالة الدينية في العالم الإسلامي : فالواقع أن انحطاط الحياة الدينية لدى المسلمين لم يكن وليد هذا العصر فحسب وإنما يسبقه بعدة قرون ، حينما دخل بالإسلام ـ في الظاهر ـ عناصر من أصحاب الملل والحضارات السابقة التي قضى عليها المسلمون في عصورهم الزاهرة ، وقد استهدفت هذه العناصر من دخولها الإسلام الكيد له والدس عليه ،

---

(١) عبد المتعالي الصعيدي : المرجع السابق ص ٣٥٠ و ٤١٨ ، ومحمد كمال جمعه : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢١ ـ ٢٣ .

(٢) Akdes numet durat, the cambridge history of islam volume, I.P 507. وعباس العقاد : الإسلام في القرن العشرين ص ٩٠ .

فنشأت بذلك الفرق والمذاهب الدينية المختلفة(١) وعندما دخلت الدولة العثمانية دور الانحطاط في القرن الثاني عشر الهجري ـ كما سبق ـ ازدادت الحالة الدينية سوءا بين المسلمين ، ومما زاد في ذلك جمود علماء المسلمين في تلك الفترة وتمسكهم بالقديم أيا كان خاصة علماء الأستانه وعلماء الأزهر ، وقد شجعهم على هذا كره أصحاب السلطة في تلك الفترة للإصلاح أيا كان نوعه ، وكثيرا مايعدون صاحبه كافرا . كما فعلت الدولة العثمانية مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما عدت دعوته وحركته الإصلاحية خارجة عن الدين(٢) ، وبعكس ذلك أطلق أصحاب السلطة العنان لأهل البدع والمتصوفين والبلهاء حتى علا شأنهم عند العامة اعتقدوا فيهم الولاية ،(٣) وكان لأصحاب الطرق الصوفية منزلة عظيمة عند العامة وأصحاب السلطة ، فنشروا بذلك بدعهم بين الناس ، ووصل قوة نفوذ أصحاب الطرق الصوفية أن تولى عدد منهم مشيخة الأزهر فترة من الوقت(٤) ، هذا إلى جانب ماكان منتشرا بين عامة الناس في كافة أرجاء الدولة العثمانية ، وفي غيرها من بقاع المسلمين من بدع أصابت عقيدة التوحيد في الصميم ، فقد انتشرت في البلاد المختلفة قبور الأولياء والصالحين التي بنيت عليها القباب والتي يتجه إليها الناس بأشياء لايجوز صرفها إلا لله تعالى كالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والشفاعة ونحوها ، وكثيرا ماكانت تقام عند هذه القبور المنكرات والمفاسد ، وقد انتشرت هذه القبور في مختلف البلاد الإسلامية سواء في الحجاز أو اليمن

---

(١) عبد الله يوسف الشبل : محاضرات في تاريخ الدولة السعودية ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) Nicholson, R.A., Alileiary history of the Arabs P 467.

(٣) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار جـ ١ حوادث عام ١١٧٢هـ .

(٤) عبد المتعالي الصعيدي : المرجع السابق ص ٤٢٣ .

أو الشام أو العراق أو مصر[١] وكذا الحال في المغرب الإسلامي أو غرب أفريقية ، وأصبح عناية المسلمين تنصب على الاهتمام بتلك الأمور البدعية والشركية ، وفي هذا الصدد يقول (لوثروب ستودارد) في كتابه «حاضر العالم الإسلامي (وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الخرافات وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، كثر عدد الأدعياء الجهلاء يوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور)[٢] أ هـ .

ب ـ في بلاد نجد : في القرن الثالث الهجري قامت في منطقة نجد دولة مستقلة عن دولة الخلافة العباسية يطلق عليها (الدولة الأخيضرية) والتي أسسها (محمد الأخيضر) سنة ٢٥٣هـ (٨٦٧م) واستمرت حتى منتصف القرن الخامس الهجري حيث سقطت تلك الدولة[٣] وبسقوطها أصبحت بلاد نجد مجزأة إلى إمارات صغيرة يرتبط بعضها بالدويلات التي قامت في منطقة الاحساء . أما الدولة العثمانية فلم تكن سياستها في ذلك الوقت تهتم بإخضاع نجد لحكمها وكل مايهمها هو (الحجاز) حيث الأماكن المقدسة الإسلامية ، بالإضافة إلى السواحل الغربية والشرقية في الجزيرة العربية خصوصا بعد أن تعرضت هذه السواحل لحملات البرتغاليين في أثناء القرن الخامس عشر الميلادي[٤] .

---

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار والأفهام جـ ١ ص ١٠ (ط أبا بطين) .

(٢) لوثروب ستودارد : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ .

(٣) عبد الرحمن بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٤ ص ٩٨ ومنير العجلاني : تاريخ البلاد السعودية جـ ١ ص ٢٨ .

(٤) ساطع الحصري : الدولة العثمانية والبلاد العربية ص ٢٣٨ و ٢٣٩ ومحمد محمود السروجي : المرجع السابق ص ٧٣ .

والواقع أنه منذ القرن الخامس الهجري أصبحت بلاد نجد مقسمة إلى إمارات صغيرة ضعيفة متفرقة متنازعة ، ومن يطلع على تاريخ نجد في تلك الفترة ـ على اختصاره ـ تواجهه حقيقة مرعبة وهي أن القوم كانوا في عراك مستمر ومرابطة دائمة وثأر لاينقطع ، يتربص بعضهم ببعض الدوائر ويتحين أهل كل قرية الفرصة للايقاع بأهل القرية الأخرى ،(١) لقد كانت هذه الإمارات والقرى لاتعرف السكينة والأمن والحرية إلا قليلا ، ففي الحرب يقتل أبناؤها ، ويدمر بناؤها ، ويحرق نخيلها ، ويتلف زرعها وفي فترات السلم يحبس الناس في بلدانهم فلا يستطيعون الابتعاد عنها إلا بمغامرة ، فكانت إمارات نجد في تلك الفترة تجسيداً لقصة ملوك الطوائف في الأندلس .(٢) بل لقد وصل الحال بإحدى هذه الإمارات أن قسمت أرباعا بين أربعة رؤساء . كل رئيس ترأس في ربعها .(٣)

أما الحالة الدينية في بلاد نجد : فلم تكن أسعد حظا من باقي أقطار العالم الإسلامي . فقد جرفها تيار الانحراف عن الدين الإسلامي الصحيح من شرك وبدع وخرافات كالدعاء والنذر والذبح ، وصرف أنواع العبادات الأخرى لغير الله ، لكنها لم تصل في انحرافها أن تناسى أهلها شعائر الإسلام من صلاة وزكاة وصيام وحج ـ كما يزعم بلجريف(٤) ـ وخاصة أهل الحاضرة وعندما قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته في بلاد نجد كان الخلاف بين الشيخ وبين مخالفيه على أساس التوحيد أما

(١) عبد العزيز الخويطر : مقدمه تاريخ أحمد بن منقور ص ٢٢ .
(٢) منير العجلاني : تاريخ البلاد السعودية جـ ١ ص ٣٦ .
(٣) انظر عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد جـ ٢ ص ٢٢٨ و ٢٢٩ وأحمد بن منقور : تاريخ ابن منقور ص ٦٣ .
(٤) Palgrave.W. Narrative of oyear's Jouriney through central and Eastern Arabia (1862-1863) 2.P 370.

بقية أعمال الإسلام فإنه لم يعارضه أحد بشأنها .[١] وقد فصل المؤرخ (حسين بن غنام) مظاهر الانحراف عن الإسلام الصحيح في نجد ومثل لها بتعظيم الناس ... للقبور مثل قبر (ضرار بن الأزور) وللأشجار (مثل شجرة الذيب والفحال) وللأحجار (مثل غار بنت الأمير) وللأولياء (مثل تاج الأعمى)[٢] . هذا في الحاضرة .

أما البادية فهي أسوأ حالا ذلك أن طبيعة الحياة الصحراوية بجفائها ورهبتها وتفرق سكانها بالإضافة إلى انتشار الأمية بينهم وعدم قيام دولة ذات سلطان تحمل الناس على الحق كل هذه العوامل جعلت من البادية مرتعا خصبا لأنواع الشرك والبدع والخرافات كما ذكر ذلك المؤرخ ابن بشر .[٣]

ومهما يكن من شيء فإنه كلما مرت الأعوام والأيام ازدادت الحالة سوءا في الحاضرة والبادية حتى أذن الله بانبلاج فجر جديد حين قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ بدعوته الإصلاحية المباركة على حين فترة دعوات المصلحين فأشرقت الجزيرة العربية بنور هذه الدعوة وتبدلت فيها مظاهر الحياة كلها .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

نشأته ورحلاته :

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي من المشارقة

---

(١) حمد الجاسر : ملاحظات ضمن منير العجلاني : المرجع السابق ص ٤٥١ وعبد الله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢١ .

(٢) حسين بن غنام : المصدر السابق جـ ١ ص ٧ و ٨ وعبد الله الشبل : المرجع السابق ص ٢٩ .

(٣) عثمان بن بشر : المصدر السابق جـ ١ ص ١٩ ، ٢٠ . وانظر عبد الله بن خميس : راشد الخلاوي ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

أحد فروع الوهبة من قبيلة تميم ولد في بلدة (العيينة) ـ شمال غرب مدينة الرياض ـ سنة ١١١٥هـ (١٧٠٣م) ونشأ بها ويصفه ابن غنام بأنه حاد الذهن ذكي نبيه فطن فصيح اللفظ سريع الحفظ ، حفظ القرآن ولم يبلغ العاشرة من عمره[١] ، وكانت بيئته التي نشأ فيها بيئة علمية دينية صالحة فجده (سليمان بن علي) عالم من علماء نجد في عصره انتهت إليه الفتيا في نجد ، وألف منسكا مشهورا ، وأبوه (عبد الوهاب) بن سليمان بن علي ، تولى قضاء بلدتي (العيينة) ثم (حريملاء) وعمه (إبراهيم بن سليمان) كان عالما قديراً[٢] ، وقد تلقى الشيخ العلم في البداية على يد والده حيث درس عليه كتب الفقه الحنبلي ثم أخذ يزيد في معلوماته بالقراءة الخاصة حيث أخذ يقرأ في كتب التفسير والحديث والأصول ، وقد ساعده حبه للقراءة أن يطلع على كل مايقع في يده من كتب الدين وخاصة كتب الحنابلة نظرا لانتشار المذهب الحنبلي في نجد منذ القرن العاشر الهجري[٣] . واهتم الشيخ بصورة خاصة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم حتى أنه أخذ ينسخ كثيرا منها . وتوجد في المتحف البريطاني بلندن ـ حتى الآن ـ كتب لشيخ الإسلام ابن تيمية بخط الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٤]

ولما أكمل الشيخ تعليمه في بلدة (العيينة) على أساتذته وقراءاته

(١) حسين بن غنام : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٥ .

(٢) محمد بن عبد الله بن حميد : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (مخطوط) ص ٨ و ١٠٣ .

(٣) منصور الرشيدي : قضاة نجد أثناء العهد السعودي مجلة الدارة العدد الثاني السنة الرابعة ١٣٩٨هـ ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) حسن بن عبد الله آل الشيخ : الوهابية وزعيمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب . مجلة العربي الكويتية العدد ١٤٧ فبراير ١٩٧١ ص ٢٦ ومابعدها .
. Nicholsom: Ibid PP 463-464

الشخصية عزم على الارتحال إلى البلدان المجاورة طلبا للعلم والزيادة فيه ـ كعادة السلف الصالح ـ فبدأ بحج بيت الله الحرام للمرة الثانية ثم اتجه من (مكة) إلى (المدينة) وأقام فيها حينا أخذ العلم فيها على الشيخ (عبد الله ابن سيف النجدي) والشيخ (محمد حياة السندي) ثم خرج الشيخ من المدينة ـ مارا ببلاد نجد ـ إلى (البصرة) فتلقى العلم فيها على عدد من العلماء منهم الشيخ (محمد الجموعي) . وقد درس على هؤلاء العلماء علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية ، وقد اضطر الشيخ إلى الخروج من (البصرة) بسبب مضايقات تلقاها من أناس كان قد دعاهم إلى إخلاص التوحيد لله تعالى ونبذ أنواع الشركيات ، فقصد بلاد الشام لولا أن نفقته ضاعت في الطريق فقفل راجعا إلى نجد ، ومر في طريقه بالأحساء ونزل على الشيخ (عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي) وأخذ عنه في التفسير والحديث ثم اتجه من الأحساء إلى (حريملاء) وكان أبوه قد انتقل إليها من (العيينة) لخلاف مع حاكمها[١] .

هذه مجمل رحلات الشيخ عند عمدتي مؤرخي نجد (ابن غنام وابن بشر) . أما ماذكره صاحب كتاب (لمع الشهاب) من أن الشيخ زار بلداناً أخرى (مثل فارس ، وبلاد الشام ومصر) وأنه درس فيها علوما أخرى (مثل علم الهيئة ، والمنطق ، والفلسفة ، والهندسة والتصوف والرياضيات واللغة التركية وغيرها)[٢] فيكفي في تخطئة هذا الرأي أننا لانجد لما ذكره أي أثر في مؤلفات الشيخ ورسائله ولا في مؤلفات علماء الدعوة ومؤرخيها وهم أدرى بحياة الشيخ من غيرهم ، إضافة إلى أننا لانجد لما ذكره من العلوم

---

(١) انظر حسين بن غنام : المصدر السابق ص ١٩ ـ ٢١ وعثمان بن بشر : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٠ ، ٢١ . ومحمد حامد الفقي : أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) مؤلف مجهول : ألمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ص ٩ ـ ١٣ .

أي أثر في كتابات الشيخ خاصة المنطق الذي لو درسه لظهر أثره في جدله ومناظراته وردوده . وكذا الحال فيما ذكره (نيبور) في رحلاته من أن الشيخ زار بلاد فارس[١] .

ومهما يكن من أمر فقد فتحت هذه الرحلات أمام الشيخ تفكيره ووسعت مداركه وعلومه فاطّلع على الفساد الديني والسياسي اللذين يعيشهما العالم الإسلامي حينذاك[٢] فعاد إلى بلده وكله عزيمة وأمل بأن يقوم بإصلاح هذا الفساد بقدر مايسعه جهده وعلمه .

ثانيا : الدعوة : حقيقتها ، مبادئُها :

مراحل الدعوة : عندما وصل الشيخ إلى (حريملاء) أخذ يجهر بدعوته وينكر مايفعله الجهّال من البدع والشركيات في الأقوال والأفعال لكنه لم يلبث أن قرر الخروج من (حريملاء) لعدم صلاحيتها لنشر الدعوة فيها بسبب فقدان الأمن نتيجة لانقسام أهلها وانقسام الحكم فيها حتى كادت أن تتم حادثة اغتيال للشيخ فيها[٣] فعاد الشيخ إلى (العيينة) مسقط رأسه فأهلها يعرفهم وحكمها مستقر أكثر من (حريملاء) فرحب به حاكمها حينذاك (عثمان بن معمر) وفتح صدره للدعوة ولتطبيق مبادئها فانتقلت الدعوة بذلك إلى المرحلة العملية في تطبيق مبادىء الدعوة فهدمت القباب المقامة على القبور في العيينة وما جاورها وقطعت أشجار كان يتبرك بها العامة ، ورجمت زانية محصنة أقرت بالزنا عند الشيخ أربع مرات[٤] . ولم يعكر صفو هذا النجاح للدعوة سوى تهديد حاكم

---

(١) Niebuhr. C., Travels Through Arabia. Vo 12.PP 131-139.

وانظر عبد الله العثيمين : نيبور ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ مجلة ـ كلية العلوم الاجتماعية العدد الثاني ص ١٧٥ .

(٢) Nicholson: P 466

(٣) حسين بن غنام : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٠ .

(٤) عثمان بن بشر : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢ و ٢٣ .

الأحساء حينذاك من بني خالد (سليمان بن محمد بن عريعر) لحاكم العيينة (ابن معمر) ـ وكان للأول مايشبه النفوذ السياسي على الثاني ـ وأذعن ابن معمر لتهديده وأمر الشيخ بالخروج من البلد ، فاختار الشيخ الدرعية واتجه إليها لما يعرفه من سيرة لحاكمها (محمد بن سعود) إضافة إلى استقلاله وعدم خضوعه لسيطرة أجنبية ، لهذا رحب (محمد بن سعود) بالشيخ وتعاهد معه على نصرة الدعوة وحمايتها وتم بينهما مايعرف تاريخيا بـ (اتفاق الدرعية)(١) ـ عام ١١٥٧هـ (١٧٤٤) والذي كان بحق نقطة تحول هامة في تاريخ تلك الدعوة وفي حياة الجزيرة العربية الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بل وفي تاريخ اليقظة العربية والإسلامية الحديثة(٢) .

وبقي الشيخ سنتين يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة وذلك برسائله ومناظراته مع أهل البلدان المجاورة فمنهم من قبل واتبع الحق ومنهم من أبى وعارض وحارب الدعوة فأمر الشيخ حينئذ أتباعه بالجهاد(٣) دفاعاً عن النفس من ناحية ونشراً للدعوة الإسلامية من ناحية أخرى فانتقلت الدعوة إلى المرحلة الجديدة الثالثة وهي (مرحلة الجهاد) .

حقيقة الدعوة ومصادرها :

قبل الدخول في تفاصيل الدعوة وأفكارها نحب أن نشير إلى أمرين هامين : ـ

أولهما : أن لقب (الوهابية) لقب لم يختره أتباع الدعوة لأنفسهم لكنه أطلق من قبل خصومهم على اختلافهم تنفيراً للناس منهم وإيهاما للسامع

---

(١) عثمان بن بشر : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٤ و ٢٥ . وعبد الله الشبل : المرجع السابق ص ٣٦ .

(٢) محمد عزة دروزه : نشأة الحركة العربية الحديثة جـ ١ ص ٧٥ .

(٣) حسين بن غنام : المصدر السابق ج ١ ص ٣٣ .

أنهم جاءوا بمذهب خامس يخالف المذاهب الإسلامية الأربعة الكبرى ، واللقب الذي يرضونه ويسمون به هو (السلفيون) ودعوتهم (الدعوة السلفية)[١]

وثانيهما : أن هذه الدعوة ليست ذات مذهب خاص بها وإنما هي الدعوة إلى الإسلام بكل مبادئه وتعاليمه الخالصة من شوائب الشرك والوثنية والبدع ـ وكما قال الدكتور طه حسين ـ إن تعاليم الدعوة جديدة وقديمة معا ، فهي جديدة بالنسبة للمعاصرين ، ولكنها قديمة في حقيقة الأمر لأنها ليست الا الدعوة القديمة إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية[٢] .

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قامت وهي تهدف إلى تصحيح العقيدة الإسلامية في نفوس أتباعها وتطهيرها مما علق بها من أدران الشرك والبدع والخرافات بحيث يعترف المخلوق بسلطان الخالق عليه في جميع الأمور فلا يتوجه إلا إليه ولايتعلق إلا به[٣] ، كما تهدف إلى تطبيق أحكام الإسلام وشعائره وحدوده وإقامة مجتمع إسلامي يؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة .

وقد اعتمد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته على ثلاثة مصادر[٤] هامة : ـ

أولها : القرآن الكريم : المصدر الأول للتشريع الإسلامي ، ويظهر

---

(١) حسن بن عبد الله آل الشيخ : المرجع السابق ص ٢٦ . وأحمد علي : آل سعود ص ٢١٢ .

(٢) طه حسين : الحياة الأدبية في جزيرة العرب ص ١٣ ومابعدها .

(٣) عبد الله الخياط : حركة الإصلاح الديني في القرن الثاني عشر مجلة البحوث الإسلامية السنة الأولى ١٣٩٥ ص ١٣٧ .

(٤) محمد عبد الله السلمان : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ تاريخها ، مبادؤها ، أثرها ص ٣٤ ـ ٣٨ .

اهتمام الشيخ به أنه حفظه وهو صغير . ومن يطلع على مؤلفات ورسائل الشيخ يدرك اهتمام الشيخ وتقديره لكتاب الله تعالى من حيث تقديمه على جميع الأدلة النقلية والعقلية واستشهاده به دائما .

ثانيها : السنة النبوية : وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي . وقد اهتم الشيخ بدراسة السنة النبوية منذ صغره ، ومؤلفات الشيخ ورسائله تدل على اهتمام الشيخ بالسنة النبوية ، ويكفي أنه اختصر سيرة الرسول ﷺ ليسهل على أتباعه قراءتها .

ثالثها : آثار السلف الصالح : من الصحابة والتابعين وتابعيهم وخاصة الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل) . ولكن تأثر الشيخ انصب على ثلاثة من علماء السلف الصالح وهم (الإمام أحمد بن حنبل ، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، والشيخ محمد ابن قيم الجوزية) حيث اهتم بمؤلفاتهم ، وتأثر بآرائهم وأفكارهم .

وإذا كانت آراء الباحثين والمؤرخين قد اختلفت في حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هل هي حركة دينية[١] أم سياسية[٢] أم للأمرين معا[٣] ، فالواقع أن الدعوة جامعة للأمور الدينية والسياسية معا . لأن الإسلام بطبيعته دين ودولة . والإصلاح الذي نادت به الدعوة لم يكن الغرض منها دينيا محضا ـ كما زعم بعض الباحثين[٤] حقيقة أن الدعوة اهتمت بالإصلاح الديني أكثر من اهتمامها بالإصلاح السياسي ولكن ذلك يرجع إلى أن الانحراف الديني في العالم الإسلامي في ذلك

---

(١) Qeyamuddin,. Ahamad. The wahabi Movement in India P 22

(٢) توفيق الطويل : ضمن كتاب الفكر العربي في مائة سنة ص ٢٧٧ .

(٣) صلاح العقاد : دعوة حركات الإصلاح السلفي . المجلة التاريخية المصرية جـ ٧ ص ٩٠ .

(٤) عبد المتعالي الصعيدي : المرجع السابق ص ٤٣٩ .

الوقت يفوق تدهوره السياسي . وفوق هذا وذاك فإن إصلاح العقيدة الإسلامية في نفوس المجتمع الإسلامي أساس كل إصلاح ، ومن هنا نستطيع أن نرد على أولئك الباحثين الآخرين الذين ينقدون ويعيبون على الدعوة الإصلاحية في نجد عدم الاهتمام بالتقدم الحضاري الذي يشهده العالم وقت ظهورها[1] فمبادىء الدعوة ـ تبعا للإسلام الحق ـ لا تتنافي مع التقدم الحضاري النافع إذا سار بهدي القرآن والسنة النبوية وآثار السلف الصالحين ، ولعل الظروف الصعبة التي أحاطت بالدعوة وأتباعها في تاريخها الطويل هو الذي صرفها عن الأخذ بتلك الحضارة ، أما أن ينسب إلى الحضارة وأدواتها أنها ربما قامت عوائق في طريق الدعوات الدينية الإصلاحية السليمة ، ومن أجل ذلك تفاداها محمد بن عبد الوهاب، فإن ذلك غير صحيح ، إذ ربما كانت هذه الحضارة أيسر تسخيراً في التوصل السريع والنشر العاجل[2] .

وحينما عارض بعض (جماعة الإخوان) المتزمتين في عهد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ دخول بعض أسباب الحضارة كالسيارة والتلغراف ونحوها قام علماء الدعوة في ذلك الوقت بإبطال اعتراضهم وبيان الحق في ذلك[3] . وأيا كان الأمر فإن مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تقف في يوم من الأيام حائلا أمام الأخذ بما ينفع في التقدم الحضاري بشرط ألا يكون ذلك مخالفا لأحكام الإسلام وتعاليمه[4] ولعل ماتشهده المملكة العربية السعودية من تقدم حضاري ـ في هذا الوقت ـ في جميع مجالات الحياة خير شاهد على مانقول .

---

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ١٩٤ .

(٢) عبد العزيز سيد الأهل : داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب ص ١١ .

(٣) رشيد رضا (جامع) : (مجموعة رسائل وفتاوى في مسائل مهمة تمس إليها حاجة العصر) ط المنار ١٣٤٦هـ .

(٤) محمد خليل هراس : الحركة الوهابية ص ٤٧ ـ ٥١ .

مبادىء الدعوة :

سنحاول أن نلقي ضوءاً شاملا على المبادىء الأساسية لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي من أجلها وقع الاختلاف بينه وبين معاصريه من العلماء ـ حينذاك ـ ويمكن حصرها في مسائل هي :

١ ـ التوحيد :

يمكن القول أن مسألة التوحيد هي أهم المسائل التي قامت من أجلها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وكل ماعداها من المسائل فهو منضو تحتها أو فرع منها ، ويعرف الشيخ محمد بن عبد الوهاب التوحيد بقوله «هو إفراد الله بالعبادة وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده»[١] ويرى بأن (توحيد الألوهية) هو الذي وقع فيه الانحراف وهو توحيد الله بأفعال العباد التي تعبدهم بها وشرعها لهم مثل الدعاء والنذر والاستعانة والاستغاثة والتوكل[٢] . وقد أخذ الحديث عن توحيد الألوهية القسم الأكبر من مؤلفات ورسائل الشيخ وعلماء دعوته ولا غرو فقد كان هذا القسم هو مثار الجدال بينهم وبين أعدائهم المخالفين لهم ، ويرى الشيخ أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن من عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما[٣] ، وقد ألف الشيخ كتابا يبحث في هذا الصدد أسماه (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) جمع فيه آيات وأحاديث في بيان التوحيد والترغيب

---

(١) محمد بن عبد الوهاب : كشف الشبهات ضمن مجموعة التوحيد النجدية ص ٦٩ .

(٢) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : ضمن مجموعة التوحيد ص ١٥٢ وعبد الرحمن بن القاسم الدرر السنية في الأجوبة النجدية جـ ٢ ص ٣٤ .

(٣) محمد بن عبد الوهاب : المصدر السابق ص ٨٥ . وانظر احمد بن تيمية : الواسطة بين الخلق والحق ص ٢٤ .

فيه وبيان الشرك والتحذير منه[1] . بل إنه ألف رسالة جمع فيها الأمور الشركية التي يزاولها الناس في عصره أسماها (المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية)[2] .

ويرد الشيخ على من حاول تبرير شركياته كدعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم بأنه طلبا لشفاعتهم وجاههم عند الله يرد عليه بقوله «إن هذا وقول الكفار سواء بسواء وأقرأ عليه قول الله تعالى ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ **ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾[4] .

٢ ـ الشفاعة : يقسم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشفاعة إلى قسمين :

شفاعة مثبتة ، وشفاعة منفية . فالمنفية هي الشفاعة للكافر والمشرك قال تعالى : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾[5] وشفاعة مثبتة أثبتها القرآن الكريم وهي خالصة لأهل التوحيد وقيدها تعالى بأمرين : الأول إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالى ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾[6] والثاني رضاه عن المشفوع له قال تعالى ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن**

---

(١) محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد : ضمن مجموعة التوحيد ص ٣ ، ٢٤ ، ٣٠ ومابعدها .

(٢) قام بشرح هذه الرسالة علامة العراق الشيخ (محمود شكري الألوسي) وطبعت عدة مرات في المطبعة السلفية بمصر .

(٣) الزمر الآية ٣ .

(٤) سورة يونس الآية ١٨ .

(٥) المدثر آية ٤٨ .

(٦) البقرة آية ٢٥٥ .

ارتضى ﴾[١] وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد[٢] . وقد أثبت الشيخ وعلماء الدعوة الشفاعة للأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال لورودها إما في القرآن أو في السنة الصحيحة)[٣] كما أثبتوا الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة لأنها ثابتة في السنة الصحيحة ، ويقرر علماء الدعوة بأن سبب الحصول عليها هو اتباع الرسول ﷺ بما جاء به قولا وعملا واعتقادا[٤] . ولا يجوز طلبها من الرسول ﷺ نفسه وإنما تطلبها من الله تعالى فتقول في دعائك (اللهم لاتحرمني شفاعة نبيك محمد ﷺ أو (اللهم شفعه فيّ)[٥] ونحو ذلك .

٣ ـ زيارة القبور والبناء عليها :

وهذه المسألة كانت أهم المسائل التي كانت مثار الخلاف بين الشيخ ومعاصريه ولا غرو فقد كانت أكثر مظاهر الوثنية انتشارا في العالم الإسلامي ، في عصر الشيخ تقديس العامة الجهلة لقبور الأولياء والصالحين وغيرهم واتجاههم إليهم بالعبادة أو مايقرب من العبادة[٦] . وفي (كتاب التوحيد) يورد الشيخ أن سبب كفر بني آدم من أول الخليقة هو الغلو في قبور الصالحين ، ويذكر الوعيد الشديد فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده . كما يتحدث عن تحذير الرسول ﷺ عن الغلو في

---

(١) الأنبياء آية ٢٨ .

(٢) عبد الرحمن بن حسن : قرة عيون الموحدين : ضمن مجموعة التوحيد ٣٧٦ ومحمد بن عبد الوهاب . كشف الشبهات ص ٧٤ .

(٣) سليمان بن سحمان : الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ص ٤٢ .

(٤) المصدر السابق ص ١٦ . وانظر ابن تيمية : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٥٤ ، ومابعدها .

(٥) محمد بن عبد الوهاب : كشف الشبهات ص ٧٥ .

(٦) منير العجلاني : المرجع السابق ص ٢٦٩ .

قبره حيث قال ﷺ (لاتتخذوا قبري عيدا)[١] ويرى الشيخ أن مشركي زمانه أشد شركا من المشركين الأولين لأمرين :

أولهما : أن المشركين الأولين لا يشركون إلا في الرخاء أما في الشدة فيخلصون الدين لله كما قال تعالى ﴿ **وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين** ﴾[٢] بينما مشركوا زمانه يتجهون إلى أصحاب القبور في الشدة والرخاء .

وثانيهما : أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما أنبياء أو أولياء أو ملائكة أو يدعون أحجارا وأشجارا مطيعة لله ليست عاصية ، بينما بعض مشركي زمانه يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس وممن يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك[٣] .

وليس معنى ذلك أن علماء الدعوة يمنعون زيارة القبور مطلقا بل يرون أنها قد تكون مستحبة ومشروعة إذا قصد الزائر بها تذكر الآخرة والترحم على الميت والدعاء له بالمغفرة[٤] . أما البناء على القبور فيرى الشيخ أنها بدعة محرمة لأنها وسيلة إلى تعظيم صاحب القبر ثم عبادته ، ولكنها لاتصل إلى الشرك الأكبر كما يعتقد بعض الناس ـ ولهذا لم يرد عن الشيخ شيئا عن القبة المقامة على قبر الرسول ﷺ في المدينة ، بل كتب في إحدى رسائله أنه يستحسن هدمها ويأمر به[٥] ، ولعل السبب في عدم التعرض لها بالهدم ـ من بين القباب ـ أن أصحاب الدعوة رأوا

---

(١) محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد ص ٢٦ ـ ٣٠ .

(٢) لقمان آية ٣٢ .

(٣) محمد بن عبد الوهاب : كشف الشبهات ص ٧٧ و ٧٨ .

(٤) محمد بن عبد الوهاب وآخرون : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ ٤ ص ٢٧٩ .

(٥) حسين بن غنام : تاريخ نجد تحقيق الدكتور/ ناصر الدين الأسد ص ٥٢٧ و ٥٤٠ .

في هدمها شرا مستطيرا على العالم الإسلامي يزيد في اختلافه وتنازعه .[١]

والحق أن موقف الدعوة من أصحاب القبور ليس خدمة لفكرة التوحيد فحسب وإنما هي دفاع عن وحدة المسلمين السياسية[٢] ذلك أن أصحاب هذه القبور متفرقون كل فرقة تعظم قبرا لا تعظمه الفرقة الأخرى ، بينما أهل التوحيد يعبدون الله وحده ويتجهون إليه بكل أمورهم ، فإذا ما انضم المجتمع الإسلامي كله إلى صف أهل التوحيد قويت وحدته الدينية والتي على أساسها تقوم كل وحدة .

٤ ـ البـــدع :

وهي عند الشيخ وعلماء الدعوة كل الأمور المحدثة في الدين ، ويركزونها في العبادات دون العادات كالملبس والمأكل[٣] . ويذكرون لها أنواعا متعددة مثل رفع الصوت بالصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان ، وبدعة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، وبدعة التوسل بجاه النبي أو الحلف به وغيرها[٤] .

أما حكم هذه البدع في نظر علماء الدعوة فهي مذمومة على كل حال ، ويختلف الحكم عليها باختلاف نوعها والقصد الذي أراده فاعلها ، فإذا كان بعض هذه الأنواع محرما فإن بعضها قد يصل إلى درجة الشرك مثل الحلف بغير الله إذا قصد المقسم بحلفه التعظيم[٥] ويمكن

---

(١) رشيد رضا : الوهابيون والحجاز ص ٥٦ ، ومسعود الندوي : محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه ص ٢٢٠ .

(٢) منير العجلاني: المرجع السابق ص ٢٧١ .

(٣) انظر محمد أبو زهرة : ابن تيمية عصره وحياته ص ٥٣٠ و ٥٣١ . ومنير العجلاني : المرجع السابق ص ٢٨٨ .

(٤) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : خطبة دخول مكة عام ١٢١٨هـ ضمن سليمان بن سحمان : المصدر السابق ص ٤٧ .

(٥) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : المصدر السابق ص ٤١٣ .

القول أن هناك بعض البدع يجد الباحث تركيز علماء الدعوة في الحديث عنها في كثير من المناسبات وأهمها : ـ

أ ــ بدعة الاحتفال بالمولد النبوي : فهي بدعة محدثة في الدين لأنها لم ترد عن سلف هذه الأمة وخاصة الصحابة رضي الله عنهم الذين لاشك أنهم أكثر حبا منا لرسول الله ﷺ ، فلو كان في الاحتفال بمولده خيرٌ لفعلوه .

ب ــ بدعة المحمل : وهو جمل ينصب عليه هودج يحمل كسوة الكعبة المشرفة ويزين بأنواع الزينة ويجعلونها في مقدمة قافلة الحج من مصر ويأتي في موكب من الطبول والزمور الذي لايتفق مع قدسية المكان ، وجعلوا ذلك كالسنة المتبعة أو الفريضة الشرعية حتى توهم العامة أنه جزء من الحج وبالغوا في تعظيمه والتمسح به .

٥ ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لقد جعلت الدعوة كل مسلم مسؤولا عن تطبيق أوامر الدين الإسلامي واجتناب نواهيه في المجتمع الإسلامي وذلك حسب استطاعته وهذا ما أطلق عليه اسم (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، وهو دليل على عدم وجود فجوة بين المجال النظري للدعوة وبين التطبيق العملي للمؤمنين بها[١] ، وهذا النظام لم تنكره الدعوة ، وإنما هو إرث وتقليد قديم ، إذ كان يطلق عليه نظام (الحسبة) ويسمى صاحبه (المحتسب) وعمله تطبيق قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان معه أعوان يراقبون أمور العبادة والأخلاق العامة والتجار وأرباب الحرف والأسعار والموازين . وهو مماثل لنظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند

---

(١) محمد خليل هراس : مرجع سابق ص ٦٩ .

الدعوة إلى حد كبير ، وإن كان النظام ينصب عند الدعوة على الاهتمام بأمور العبادات والأخلاق العامة .[١]

ويحرص الشيخ محمد بن عبد الوهاب على توجيه أتباعه نحو آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيذكر أنه إذا صدر منكر من مسلم أمير أو غيره ينصح برفق خفية فإن وافق وإلا أرسل إليه من ينصحه ، فإن لم يفلح أنكر عليه ظاهرا إلا إذا كان صاحب المنكر أميراً فيرفع الأمر إلى ولي الأمر الأكبر خفية . وكان هذا التوجيه من الشيخ حرصا منه على إجماع الأمة وعدم الفرقة .[٢]

٦ ـ التكفير والقتال : اقتضت الرغبة في نشر مبادىء الدعوة امتشاق الحسام ـ كما مر ـ وذلك دفاعا عن الدعوة وحماية لها ولأصحابها من أعدائهم من ناحية ونشرا لها من ناحية أخرى ، وليس معنى ذلك أن الدعوة انتشرت بحد السيف ولكن العكس هو الصحيح ، فقد كانت الدعوة في معظم الأحوال تسبق الغزوات ثم تكون مهمة الغزوات بعد ذلك لحماية أنصار الدعوة والراغبين في الدخول فيها .[٣]

لقد سلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب في سبيل نشر دعوته عدة طرق ووسائل يأتي (الجهاد والقتال) في آخرها فسلك أساليب (الوعظ والتدريس ، والخطابة ، والرسائل والمناظرات ، وتأليف الكتب) ثم إذا

(١) مؤلف مجهول : لمع الشهاب (مرجع سابق) ص ٤٩ ومنير العجلاني : مرجع سابق ٢٨١ و ٢٨٢ .

(٢) حسين بن غنام : تاريخ نجد (المصدر السابق) ص ٤١١ و ٤١٢ .

(٣) كمال السيد درويش : محمد بن عبد الوهاب والدعوة الوهابية (رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة الاسكندرية ـ كلية الآداب) ص ٦٠ ـ ٧٥ . وصالح بن فوزان ـ مجلة كلية أصول الدين بالرياض العدد الأول ص ٨٦ .

لم تفد كل هذه الوسائل يأتي دور (الجهاد والقتال) حماية للدعوة ونشرا لها . لأن الدعوة لم تقم أصلا على تكفير المسلمين الذين لا يوافقون على الإيمان بمبادئها ــ كما يزعم أعداؤها ــ ولهذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في إحدى رسائله «وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ماعرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله فهذا الذي أكفره وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك» وأما القتال فلم نقاتل أحدا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ماعرفه[1] ، ويذكر في رسالة أخرى أن علماء المسلمين أجمعوا على أن من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء آخر فهو كافر حلال الدم والمال وإخلاص التوحيد لله تعالى أهم ماجاء به الرسول ﷺ ، فكيف نقاتل من ينكر الصلاة والزكاة ولانقاتل من ينكر إخلاص التوحيد لله»[2] .

ولهذا فإن علماء الدعوة في رأيهم هذا لم يأتوا بجديد ، بل هم يطالبون أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى (كالشافعية والحنفية والمالكية) بالتمسك بأقوال أئمتهم في إخلاص التوحيد ، ولو أن الإمام الشافعي ــ مثلا ــ وجد اليوم ما يفعله الناس عند قبره لكان أشد أتباع الدعوة ردعا لهؤلاء وغضبا لروح التوحيد[3] .

٧ ــ الاجتهاد والتقليد : لقد أدرك الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن

(١) محمد بن عبد الوهاب وآخرون : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ ٤ ص ٨ . وحسين ابن غنام : المصدر السابق ص ٣٦١ .

(٢) محمد بن عبد الوهاب : كشف الشبهات ص ٧٩ ــ ٨٥ .

(٣) محب الدين الخطيب : الوهابية ــ مجلة الزهراء المجلد الثالث صفر ١٣٤٥هـ ص ٩٦ و ٩٧ .

سبب انحراف المسلمين عن إسلامهم الصحيح هو إنشغالهم بكتب المتأخرين عن النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية[١] ، وكان ذلك راجعاً إلى اعتقاد الناس استحالة وصولهم إلى مرتبة الاجتهاد .[٢] وبهذا آمن الشيخ وعلماء دعوته بأنه لاسبيل إلى إصلاح الأمة إلا بتحطيم قيود التقليد والعودة إلى النظر في القرآن والسنة . وليس القرآن بمستعصي المعني وليست السنة بمستعصية على طالبي فهمها .

والشيخ وعلماء دعوته يصرحون بأن مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وفي الفروع مذهب الإمام أحمد بن حنبل . ويذكرون أن أصول الدين لا اجتهاد فيها أما في الفروع فهم لايلتزمون بمذهب الإمام أحمد وإنما يقبلون كلمة الحق من أي إمام كان لذلك نجدهم لا يتعصبون للمذهب الحنبلي ولا يقدمونه على نص قاطع ، فنجدهم ينقلون أقوال الأئمة الأربعة[٣] ليقرروا بعد ذلك الرأي المرجح عندهم .

ولايقال : إن تأثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأحمد بن حنبل وابن تيمية وتلميذه ابن القيم[٤] ـ كما سبق ـ تقليد لهما وإنما هو موافقة الحق للحق . إن معنى التقليد أن تؤخذ قضايا الأولين مسلمة من غير نظر في الأدلة ، وأما الإيمان بها عن دليل وإقناع فلا يسمى ذلك تقليداً[٥] ـ لذلك فالشيخ وعلماء الدعوة لاينكرون على أحد اتباعه أحد المذاهب

---

(١) حسين بن غنام : المصدر السابق ص ٣٦١ .

(٢) سليمان بن عبد الوهاب : الصواعق الإلٰهية في الرد على الوهابية ص ٣ و ٤ ومحمد حامد الفقي : المرجع السابق ص ٤٤ .

(٣) حسين بن غنام : المصدر السابق ص ٤٢٣ . وسليمان بن سحمان : المصدر السابق ص ٣٩ و ٤٠ .

(٤) محمد أبو زهرة : ابن حنبل حياته وعصره ص ٣٩٠ .

(٥) محمد خليل هراس : المرجع السابق ص ٣٧ و ٣٨ ، وزكريا البري : أصول الفقه الإسلامي ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥ .

الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط المذاهب الأخرى ، وهم يرون أنه لايوجد أحد يستحق مرتبة (الاجتهاد المطلق) أما الاجتهاد في بعض المسائل فلا مانع عندهم . لذلك نجد للشيخ وبعض علماء الدعوة اجتهادات في بعض المسائل مع مخالفتها لمذهب الحنابلة كإرث الجد والأخوة فهم يقدمون الجد بالإرث ومثل جواز صلاة المنفرد خلف الصف(١) ، بل للشيخ اجتهادات أكثر تحررا مثل جعل دية المسلم ثمانمائة ريال بدل مائة ناقة(٢) وهكذا .

ولهذا يقرر كثير من الباحثين أن من أبرز معطيات دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب العودة بعلماء المسلمين إلى الاجتهاد في الفروع بعد أن كان ذلك معدوما أو شبه معدوم(٢) .

وبعد : فتلك هي نظرة عامة على المبادىء الأساسية التي حرصت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على إقرارها ، وهي كما رأينا مبادىء الإسلام بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، وهذا ما قرره المؤرخ عبد الرحمٰن الجبرتي في تاريخه حينما أورد بعض رسائل علماء الدعوة المتضمنة بيان عقيدتهم فقال مانصه «أقول ــ إن كان كذلك ــ فهذا ما ندين لله به أيضا وهو خلاصة لباب التوحيد وماعلينا من المارقين والمتعصبين»(٣) .

---

(١) سليمان بن سحمان : المصدر السابق ص ٣٨ و ٣٩ و ٤٩ وحسين بن غنام : روضة الأفكار جـ ١ ص ١٢٤ . وللشيخ محمد بن عبد الوهاب رسالة اسمها (مبحث الاجتهاد والخلاف) مخطوطة في مكتبة أرامكو بالظهران .

(٢) عبد المتعالي الصعيدي : المرجع السابق ص ٤٤١ وهبه الزحيلي : «الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ص ٩ من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٣٩٦هـ .

(٣) عبد الرحمن الجبرتي : المرجع السابق جـ ٢ ص ٥٩١ في حوادث محرم عام ١٢١٨هـ .

وقبل أن ننهي حديثنا عن مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يحسن بنا أن نقول : إن دعوة الشيخ تتلخص في مبدأين[1] رئيسيين : -

أولهما : الدعوة إلى توحيد الله تعالى في عبادته وإخلاص العبادة لله تعالى قولا وعملا والبعد عن كل ماينافي ذلك . ويندرج تحت الدعوة إلى هذا المبدأ جميع المبادىء الستة السابقة .

ثانيهما : الدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد الأعمى كما فصلناه سابقا .

ثالثا : أثر الدعوة في العالم الإسلامي

عوامل انتشارها : من أجل الرغبة في نشر مبادىء الدعوة والدفاع عنها أمام خصومها قامت معارك عمت معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية نقلتها من حال إلى حال ، حولتها من الانقسام إلى الوحدة ومن الإنحراف والجهالة والعصيان إلى التوحيد والعلم والعبادة وأصلحتها في أخلاقها ومعاملاتها وكانت عاقبتها خيرا للإسلام والمسلمين في الدين والدنيا . هي صراع بين الحق والباطل انتهت بانتصار دعوة الحق وأصحابها[2] وقامت دولة إسلامية عزيزة الجانب مرهوبة الأركان وحدت الإمارات المتناحرة تحت لوائها وامتدت من البحر الأحمر غربا إلى الخليج العربي شرقا ومن الشام شمالا إلى اليمن جنوبا[3] . توفرت لها كل مقومات الدولة في

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث ص ٣٢ .

(٢) علي الطنطاوي : محمد بن عبد الوهاب ص ٣٤ ـ ٤٠ وحسن خزعل : حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣٣٨ .

(٣) عبد الله الشبل : الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته ص ٦٢ .

مفهوم ذلك العصر وعرفت ـ تاريخيا ـ باسم (الدولة السعودية الأولى) حتى إذا سقطت تلك الدولة على يد محمد علي باشا والي مصر من قبل العثمانيين عام (١٢٣٣هـ ـ ١٨١٨م) ـ قامت بعدها (الدولة السعودية الثانية) من عام ١٢٣٨ ـ ١٣٠٩هـ (= ١٨٢٣ ـ ١٨٩١م) ثم الدولة السعودية الثالثة على يد الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٣١٩هـ (١٩٠١م) وقد سرى روح الدفاع عن الدعوة السلفية الإصلاحية في الدولتين السعوديتين الثانية[١] والثالثة كما سرى ذلك في الأولى . لكن إذا كانت الدعوة السلفية قد وطدت أقدامها في مساحات واسعة من شبه الجزيرة العربية ـ دينيا وسياسيا ـ في ظل الدولة السعودية ـ بجميع أدوارها ـ فإنها تعدت في إنتشارها إلى بلاد داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها حتى أنارت عقول الأمة الإسلامية من سومطرة شرقا إلى نيجيريا غربا . هذه الميزة تدفعنا إلى البحث عن عوامل نجاحها ، وأسباب انتشارها وخاصة في آسيا وأفريقيا ، ويمكن تلخيصها[٢] بمايلي :

١ ـ طبيعة الدعوة وكون مبادئها توافق الفطرة السليمة وهذا عامل في انتشارها فهي سهلة الفهم بعيدة عن التعقيدات والأمور الفلسفية لأنها هي الإسلام بعينه .

٢ ـ صاحب الدعوة (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) وقوة إيمانه بدعوته وجهاده في سبيلها مهما بلغ الثمن ، وتعددت التضحيات .

٣ ـ القوة السياسية للدعوة وهي التي تمثل أنصار الدعوة من (آل سعود) ومابذلوه من التضحية بأنفسهم وأموالهم في سبيل نجاح هذه الدعوة وإقرارها .

---

(١) عبد الفتاح أبو عليه : الدولة السعودية الثانية ص ٢٤ .

(٢) محمد بن عبد الله السلمان : أثر الدعوة السلفية في العالم الإسلامي ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد الأول ص ٤٨٤ .

٤ ــ بيئة الدعوة (نجد) من حيث بساطة أهلها وتقشفهم أعدهم لتحمل مشاق نشر الدعوة ، بالإضافة إلى بعد (نجد) عن عصا الدولة العثمانية ونفوذ رجال الدين والمتصوفين وفقهاء المذاهب المختلفة الذين سيحاربون الدعوة ــ بعد ذلك ــ خوفا على مراكزهم .

٥ ــ دور علماء الدعوة وما قاموا به من نشر مبادئها في كثير من المناطق بأنفسهم أو بمؤلفاتهم ورسائلهم[١] .

٦ ــ عصر الدعوة : من حيث ما أصاب المسلمين فيه من انحراف ديني وتدهور سياسي بالإضافة إلى تقهقره الاجتماعي ، وتخلفه الاقتصادي جعل من الدعوة أمام الناس المنقذ الوحيد لهم .

٧ ــ موسم ومكان الحج : فهو أكبر وسيلة لنشر مبادىء الدعوة خاصة في وقت خضوع الحجاز لدولة الدعوة من سنة ١٢١٧هـ ــ ١٢٢٨هـ (= ١٨٠٢ ــ ١٨١٣م) وما امتاز به من أمن واستقرار وتطبيق لمبادىء الإسلام على الوجه الصحيح ، وكذا الحال حينما دخلت الحجاز في ظل الدولة السعودية الثالثة عام ١٣٤٣هـ ... فآمن كثير من الحجاج بالدعوة بسبب ذلك وعادوا إلى أوطانهم داعين لها بحماس .

٨ ــ العلاقات التجارية : سواء كانت علاقات فردية يقوم بها أتباع الدعوة مع غيرهم أو علاقات دولية تقوم بها الدولة السعودية مع جيرانها . كان لهذه العلاقات دور في نشر مبادىء الدعوة إلى حد كبير .

٩ ــ كما يجب ألا ننسى دور خصوم الدعوة وبخاصة المفكرين منهم

---

(١) قد يوجد في بعض أساليب رجال الدعوة مايتنافى مع مبادىء الدعوة ، ومع أن هؤلاء قلة إلا أن أعداء الدعوة استغلوا تطرفهم على حساب الدعوة وأفكارها : انظر حمد الجاسر : ملاحظات مجلة العرب ، السنة الرابعة (١٣٩٠هـ) ج ٩ و ١٠ ص ٧٦٤ و ٩٣٧ .

فإنهم روجوا للدعوة ولفتوا الأنظار إليها من حيث لايريدون كما قال الشاعر :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتـاح لهـا لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ماكان يعرف فضل طيب العود[1]

باجتماع هذه العوامل وتكاتفها صار للدعوة رصيد كبير من الأنصار والمؤيدين بل والتابعين المتأثرين بأفكارها ومبادئها .

ولما كان العالم الإسلامي الذي انتشرت فيه الدعوة يتركز في قارتي آسيا وأفريقية فإن انتشار الدعوة تركز تبعا لذلك في القارتين المذكورتين ، وإذا وجد تأثير لها في خارج محيط العالم الإسلامي ـ كدول أوربا[2] مثلا ـ فهم مع قلتهم ذوو أثر طفيف .

أولا : في قارة آسيا : كانت أهم المناطق التي تأثرت بالدعوة في آسيا هي :

أ ـ **اليمن وأطراف الجزيرة** : ففي اليمن وجد مجموعة من العلماء تأثروا بالدعوة وأهمهم الشيخ الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (١٠٩٩ ـ ١١٨٢هـ)[3] والشيخ محمد بن علي الشوكاني (١١٧٢ ـ ١٢٥٠هـ)[4] . وفي أطراف الجزيرة انتشرت الدعوة في قطر والبحرين والمنطقة الشمالية الغربية من عمان .[5]

---

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار والإفهام جـ ١ ص ٣٤ .
(٢) أحمد عبد الغفور عطار : محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠٨ .
(٣) عبد الله محمد حبشي : تاريخ الدعوة الوهابية من مخطوط . يمني ، مجلة العرب (رجب عام ١٣٩٢هـ) .
(٤) أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ٢١ و ٢٢ .
(٥) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الدولة السعودية الأولى ص ٨٦ ـ ١٠٣ وإبراهيم الشريقي : أضواء على الخليج العربي ومسقط وعمان ص ٣٠ .

وعند القبائل التابعة لبعض مشايخ الساحل العماني خاصة القواسم[١] والقبائل المنتشرة في بادية الشام . بل وجد في العراق عند أهل السنة من يعتبرون أتباعاً للدعوة السلفية ومؤيدين لها وعلى رأسهم الشيخ (محمود شكري الألوسي ١٢٧٣ ـ ١٣٤٢هـ)[٢]

ب ـ **في الهند وباكستان** : انتشرت الدعوة هناك على يد الزعيم الهندي المسلم (أحمد بن عرفات الباريلي ١٢٠١ ـ ١٢٤٦هـ = ١٧٨٦ ـ ١٨٣١م) الذي حج إلى مكة عام ١٢٣٦هـ والتقى ببعض دعاة الدعوة هناك فتأثر بهم وعاد لوطنه داعيا لها فاصطدم مع (السيخ) الوثنيين . وجاهد في القضاء على البدع والخرافات عند قومه المسلمين حتى أسس دولة مستقلة في (البنجاب) لم تلبث أن اصطدمت مع الاستعمار الإنجليزي الذي تعاون مع (السيخ) فقضى عليها . ولكن بقيت دعوته الإصلاحية في أتباعه ومن المؤيدين للدعوة في الهند وباكستان (أحمد خان) (١٢٣٧ ـ ١٣١٦ ١٨١٧ ـ ١٨٩٨م) الذي كان له جهود في محاربة البدع والخرافات عند المسلمين هناك كما كان له جهود علمية من أهمها تأسيس (كلية عليكره)[٣] . ولقد أجمع أكثر المؤرخين على أن لأتباع الدعوة السلفية في بلاد الهند دوراً كبيراً في ظهور (الثورة الهندية الاستقلالية) والتي نالت بها الهند استقلالها عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٧م)[٤] .

جـ ـ **في أندونيسيا** : تركز انتشار الدعوة في أندونيسيا على جزيرة (سومطرة) ويرجع تاريخ ذلك الانتشار إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري

(١) انظر صالح محمد العايد : دور القواسم في الخليج العربي ص ١٥٧ (ط بغداد ١٩٧٦م) .
(٢) عبد الرحمن عبد اللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٦٨ .
(٣) جمال الدين الشيال : محاضرات عن الحركات الإصلاحية ص ٦٧ ومحمد عبد الله ماضي : النهضات الحديثة في جزيرة العرب جـ ١ ص ٦٧ .
(٤) لوثروب ستودارد : مرجع سابق تعليق شكيب أرسلان جـ ١ ص ٢٦٣ .

(التاسع عشر الميلادي) حينما حج ثلاثة أشخاص من مسلمي أندونيسيا إلى مكة واتصلوا هناك بدعاة الدعوة السلفية وعلمائها فتأثروا بهم وعادوا إلى أوطانهم يدعون للدعوة بحماسة حتى صار لهم أتباع كثيرون فاصطدموا بقوات الاستعمار الهولندي فدامت الحروب بينهم ستة عشر عاما[1] . وهي وإن كانت قد انتهت بتغلب قوات الاستعمار ، إلا أن أتباع الدعوة ظلوا متمسكين بأفكارهم فاستطاعوا نشرها بالطرق السليمة ولاقوا نجاحا كبيرا تبدو آثاره واضحة حتى الآن ، ولقد كان لانتشار مجلة المنار التي أسسها الشيخ (رشيد رضا) وأفكارها أثر في انتشار الدعوة بشكل أكبر[2] .

د ـ **في التركستان** : ففي سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) ظهر داعية للدعوة اسمه (صوفي بارال الخوقندي) من (قوقند) بالتركستان الغربية . الذي اعتنق دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتحمس لنشرها بين المسلمين هناك . وتزعم الثورة ضد روسيا القيصرية ، فهاجم حاميتها قرب (طشقند) إلا أن القوات الروسية تغلبت عليه وعلى أتباعه في نهاية الأمر ، فاقتصر نشاط أتباعه على الدعوة السلمية[3] .

هـ ـ **في الصين** : فقد ظهر في مقاطعة (فالصو) في الصين داعية إسلامي اسمه (الشيخ فوح ماكويوان) في عام ١٣١١هـ (١٨٩٤م) حيث اعتنق دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد أدائه لفريضة الحج . فحارب البدع والشركيات عند المسلمين هناك فاجتمع حوله الأنصار والأتباع وتسموا بـ (الإخوان) وصار لهم نشاط إصلاحي كبير . واستمر

---

(١) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون ص ٤١٠ .

(٢) محمد بن عبد الله السلمان : رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رسالة ماجستير لم تنشر) ص ٣٦٣ ـ ٣٦٥ .

(٣) كمال السيد درويش : المرجع السابق ص ٢٥٠ .

ذلك حتى قيام الثورة الشيوعية في الصين عام ١٩٤٩م .[١]

ثانيا : في قارة إفريقية : فأهم المناطق التي تأثرت بالدعوة فيها مايأتي :

أ ـ في مصر : قامت في مصر حركة إصلاحية على يد عالمين يعتبران من قادة الفكر الإسلامي في العصر الحديث وهما (السيد جمال الدين الأفغاني ١٢٥٥ ـ ١٣١٥هـ = ١٨٣٩ ـ ١٨٩٧م) و (الشيخ محمد عبده ١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ = ١٨٤٠ ـ ١٩٠٥م) وقد قام جمال الدين الأفغاني برحلات عديدة إلى أقطار العالم الإسلامي ومنها مصر التي بث فيها أفكاره القائمة على مكافحة الاستعمار الأجنبي عن بلاد المسلمين عن طريق عودة المسلمين إلى إسلامهم الصحيح ، وتنقية عقيدة المسلمين مما شابها من بدع وخرافات وانحراف وفساد[٢] وكان من أبرز تلاميذه في مصر الشيخ محمد عبده الذي تحمس لأفكاره ودعا إليها .

كما دعا إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد الأعمى الذي ران على علماء المسلمين في ذلك الوقت[٣] . وبهذا يقرر كثير من الباحثين تأثرهما بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبرز ذلك في (مجلة العروة الوثقى) . التي أسساها في باريس عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) ثم ظهر الشيخ (محمد رشيد رضا ١٢٨٢ ـ ١٣٥٤هـ = ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م) الذي هاجر من الشام إلى مصر عام ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) وهو يعتبر شخصية سلفية من تلاميذ (الأفغاني ومحمد عبده) وكان بحق أكبر مناصر وداعٍ لحركة الدعوة

---

(١) فهمي هويدي : المسلمون في الصين وعصابة الأربعة ، مجلة العربي ، العدد ٢٦٥ ديسمبر ١٩٨١م ص ٨٧ .

(٢) أحمد الشريف : التاريخ الإسلامي خلال ١٤ قرن ص ٢٥٣ وعباس العقاد : مرجع سابق ص ١٤٤ وانظر إسماعيل الشطي : شخصيات في الميزان مجلة المجتمع الكويتية العدد ٤٠٨ (رمضان ١٣٩٤هـ) ص ١٥ .

(٣) Kerr.M.Islamic Reform PP 153-154, Laoust. I Bid, P 559

السلفية في مصر خاصة والعالم الإسلامي عامة في العصر الحديث ، فقد ألف عدة كتب مناصرة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأسس (مجلة المنار) في مصر عام ١٣١٥هـ والتي استمرت في الصدور حتى وفاته عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) وكانت أكبر مناصر للدعوة هناك . كما طبعت مطبعة المنار بمصر عددا من مؤلفات علماء الدعوة السلفية في نجد وناشريها[١] . وقد كان لنشاط رشيد رضا السلفي نجاح كبير في مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي ، وظهر أتباع عديدون مؤيدون للدعوة السلفية ، كما ظهرت جمعيات عديدة تدين بالولاء والتبعية للدعوة السلفية ومن أبرزها في مصر (جمعية أنصار السنة المحمدية) التي أسسها (محمد حامد الفقي) تلميذ رشيد رضا في مصر – وتصدر هذه الجمعية حتى الآن مجلة شهرية باسم (التوحيد)[٢] .

ب – **في ليبيا** : ظهرت دعوة إصلاحية في ليبيا بزعامة (محمد بن علي السنوسي ١٢٠٢ – ١٢٧٦ = ١٧٨٧ – ١٨٥٩م) الذي ذهب في إحدى رحلاته إلى مكة للحج عام ١٢٥٣هـ والتقى هناك بدعاة الدعوة وعلمائها فتلقى منهم مبادىء الدعوة واقتنع بها وبنى عليها أساس دعوته الإصلاحية[٣] ، فحارب البدع والخرافات التي توجد في مسلمي بلاده ، كما دعا إلى الاجتهاد وحارب التقليد ، وإن كان شاب دعوته بعض مباديء التصوف كالزوايا ، كما أن دعوته كانت سليمة خالصة انتشرت بالطرق السلمية ولاقت نجاحا كبيرا[٣] . وكان لأتباع السنوسي دور كبير

---

(١) محمد بن عبد الله السلمان : رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣٣٥ ومابعدها .

(٢) محمد بن عبد الله السلمان : أثر الدعوة السلفية في العالم الإسلامي ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية العدد الأول ص ٤٧٣ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ص ٣٨ و ٤١ وجمال الدين الشيال : المرجع السابق ص ٦٩ – ٧١ .

في محاربة الاستعمار الإيطالي والفرنسي في شمال أفريقيا .

جـ ـ في الجزائر : فإن الوجه السلفي لها يتمثل في (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) بزعامة (عبد الحميد بن باديس ١٣٠٥ ـ ١٣٥٩ = ١٨٨٧ ـ ١٩٤٠)[١] الذي اطلع على مبادىء الدعوة السلفية حينما أدى فريضة الحج إلى مكة ، كما اجتمع ببعض علماء الدعوة وقادة الفكر والإصلاح في المشرق العربي . وقد أسس ابن باديس جمعيته على أساس من المبادىء السلفية فدعا إلى إصلاح عقيدة الجزائريين من أنواع البدع والخرافات . ودعا إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد والجمود الفكري . وذلك بالتعميق في القرآن الكريم والسنة النبوية . وقد كان لجمعيته دور كبير في محاربة الاستعمار الفرنسي والذي نال الجزائر بها استقلاله عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م)[٢] .

د ـ في السودان : ظهرت حركة إصلاحية في السودان أطلق عليها اسم (الحركة المهدية) وتزعمها (محمد عبد الله أحمد ١٨٤٥ ـ ١٨٨٥) الذي دعا إلى محاربة الفساد والبدع والخرافات عند المسلمين كما أعلن الجهاد لتحرير بلاده من الاستعمار الانجليزي . وقد ضمن دعوته كثيرا من مبادىء التصوف وهو ماتنكره دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتحاربه ـ كما سبق ـ ورغم ذلك يصر بعض من الباحثين[٣] على تأثر

---

(١) خير الدين الزركلي : الأعلام جـ ٤ ص ٦٠ . وعبد الحليم عويس : أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي في الجزائر ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية العدد الخامس (١٤٠١هـ) ص ٢٢٥ ـ ٢٥٦ .

(٢) تركي رابح : ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر مجلة الأصالة عدد ٢٤ وعلى مرحوم : لمحات من حياة الشيخ ابن باديس . نقلا عن عبد الحليم عويس : المرجع السابق ص ٢٤٦ ـ ٢٥١ .

(٣) عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق ص ١٣٩ ـ ١٤١ وأحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ص ٤٤ و ٤٥ .

المهدي بالدعوة السلفية في نجد خاصة في دعوته إلى محاربة البدع في الدين وأنواع الفساد وقد توفى مهدي السودان في الخرطوم عام ١٨٨٥م دون أن يتعدى تأثير دعوته السودان نفسها .[١]

هـ ـ في غرب أفريقيا : ظهر تأثير الدعوة السلفية في منطقة غرب أفريقيا في قبيلة إسلامية كبيرة اسمها قبيلة (الفلبي) وكان ذلك في مطلع القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) وذلك على يد الداعية المسلم (عثمان دانفوديو) الذي عاد من مكة حاجا بعد أن التقى بدعاة السلفية فيها وتأثر بآرائهم وعاد إلى بلاده وكله حماسة وغيرة من أجل إصلاح عقيدة المسلمين هناك على أساس الإسلام الخالص من كل شوائب الشرك والفساد والخرافات . ونجح في ذلك وصار له أتباع كثيرون حارب بهم قبائل الهوسه الوثنية عام ١٢١٧ هـ (١٨٠٢) وأسس مملكة (سوكوتو) الإسلامية هناك والتي قدرت مساحتها بأربعمائة ألف كيلو متر مربع وسكانها عشرة ملايين من الأنفس .[٢] وقد استمرت هذه المملكة حتى بعد وفاة مؤسسها (عثمان دانفوديو) سنة ١٢٣١هـ (١٨١٦م) لكن لم تلبث أن اصطدمت بقوات الاستعمار البريطاني . وانتهى ذلك بقيام الإدارة البريطانية في (نيجيريا) عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) بينما بقي أتباعها متحمسين للدعوة ناشرين لها[٣] سلميا ومن أبرز هؤلاء الأتباع الداعية المسلم (أحمد بللو) الذي اغتيل في رمضان عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٦م) بعد عودته من مكة معتمرا . رحمه الله .[٤]

---

(١) انظر د . مصطفى مسعد : أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على حركة عثمان بن دانفوديو مجلة كلية العلوم الاجتماعية العدد الخامس ص ٢٠٨ ـ ٢٢٤ .

(٢) محمد عبد الله ماضي : المرجع السابق ص ٦٦ . ولوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٣٠٢ و ٣٦٢ .

(٣) مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ٢١٧ . ومابعدها .

(٤) محمود شاكر : نيجيريا ص ٨٨ وأحمد عبد الغفور عطار : المرجع السابق ص ٢١٧ .

وبعد : -

فقد رأينا مدى انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في أصقاع مختلفة من العالم الإسلامي . وقد أثبتت الدعوة نجاحها في أكثر البلدان التي دخلتها من ناحية تصحيح عقيدة المسلمين من شوائب الشرك والبدع والخرافات والتي كادت أن تشوه الإسلام وتفسد جماله وتذهب بروعته . ولا يستطيع منصف ينظر في حال المجتمع الإسلامي خلال القرنين الماضيين ويغفل دور هذه الدعوة المباركة في نشر الوعي الإسلامي بين المسلمين ثم دورها في إيقاظ شعلة الحركات التحريرية ضد الاستعمار الأوربي ، ثم أيضا أثرها الكبير على اليقظة الفكرية والنشاط العلمي بين المسلمين الذي برزت آثاره عن طريق مايقع بين أنصار الدعوة وخصومها من محاجات ومناقشات علمية نافعة حتى التقى المجتمع الإسلامي أخيرا مع هذه الدعوة عن طريق العلم الذي لاتقف أمامه الأباطيل والأكاذيب والمفتريات من ناحية ، وعن طريق التعمق والبحث بأمور الدين ودراستها دراسة عميقة من ناحية أخرى .

وإذا كانت الدعوة نجحت من ناحية تصحيحها عقيدة أتباعها فإن دورها في هذه الناحية لا يزال في طريقه إلى التمام ، فلا زال في العالم الإسلامي مجتمعات تعيش في ظلام القرون الماضية وبحاجة إلى توجيهها نحو الدعوة السلفية وتعاليمها المباركة . وهو واجب علماء المسلمين اليوم .

وعلى الله قصد السبيل

«المصادر والمراجع»

أولا : المصادر والمراجع العربية :

- أرنولد ، توماس : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة الدكتور إبراهيم حسن وآخرون ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م .
- أمين ، أحمد : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، الطبعة الثالثة عام ١٩٧١م .
- الأهل ، عبد العزيز سيد : داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب ـ دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م .
- ابن بشر ، عثمان : عنوان المجد في تاريخ نجد . طبع وزارة المعارف السعودية ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ .
- ابن تيمية ، أحمد : الواسطة بين الخلق والحق . الطبعة الأولى المطبعة السلفية بمصر ١٣٩٧هـ .
- ابن تيمية ، أحمد : قاعدة جليلة في التوفي والتوسل والوسيلة . طبع لاهور بباكستان ١٣٩٧هـ .
- الجبرتي ، عبد الرحمٰن : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ـ دار الجيل ودار الفارس بيروت (بدون تاريخ) .
- جمعه ، محمد كمال : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية ، طبع دارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٣٩٧هـ .
- ابن حسن ، عبد الرحمٰن آل الشيخ : قرة عيون الموحدين ضمن مجموعة التوحيد النجدية مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٩١هـ .
- ابن حسن ، عبد الرحمٰن آل الشيخ : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تحقيق محمد حامد الفقي الطبعة السابعة ١٣٧٧هـ .
- حسين ، طه (الدكتور) الحياة الأدبية في جزيرة العرب ، الطبعة الأولى دمشق ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) .

- الحصري ، ساطع : الدولة العثمانية والبلاد العربية بيروت دار العلم للملايين (بدون)
- ابن حميد ، محمد بن عبد الله : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة - مخطوط في معهد المخطوطات العربية رقم ١٠٩٥ (تاريخ) .
- الخطيب ، عبد الكريم : محمد بن عبد الوهاب الطبعة الأولى بالقاهرة .
- ابن خميس ، عبد الله : راشد الخلاوي حياته وشعره نشر دار اليمامة بالرياض ١٣٩٢هـ .
- ابن خلدون ، عبد الرحمٰن : العبر وديوان المبتدأ والخبر - بيروت .
- درويش ، كمال السيد : محمد بن عبد الوهاب والدعوة الوهابية - رسالة ماجستير لم تنشر - كلية الآداب جامعة الإسكندرية .
- رضا ، محمد رشيد : الوهابيون والحجاز . مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ .
- الزحيلي ، وهبة (الدكتور) الاجتهاد في الشريعة الإسلامية من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض عام ١٣٩٦هـ . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
- الزركلي ، خير الدين : الأعلام (قاموس تراجم) الطبعة الثالثة (بدون تاريخ) .
- أبو زهرة ، محمد : ابن حنبل حياته وعصره وآراؤه وفقهه - دار الفكر العربي (بدون تاريخ) .
- أبو زهرة ، محمد : ابن تيمية ، حياته وعصره وآراؤه وفقهه - دار الفكر (بدون تاريخ) .
- مستودارد ، لوثروب : حاضر العالم الإسلامي ترجمة عجاج نويهض تعليق شكيب أرسلان دار الفكر العربي ١٣٩٤هـ .

- ابن سحمان ، سليمان : الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية . تعليق محمد رشيد رضا مطبعة المنار عام ١٣٤٤هـ .
- سليمان ، أحمد السعيد (الدكتور) : محاضرات في تاريخ الدولة العثمانية (لم تنشر) كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ١٣٩٨هـ .
- الشبل ، عبد الله يوسف (الدكتور) : محاضرات في تاريخ الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية (لم تنشر) كلية العلوم الاجتماعية ١٣٩٨هـ .
- الشبل ، عبد الله يوسف (الدكتور) : الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته . الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .
- الشيال ، جمال الدين (الدكتور) : محاضرات عن الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث جـ ١ ١٩٥٧م .
- آل الشيخ ، عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف : مشاهير علماء نجد وغيرهم . الطبعة الثانية نشر دار اليمامة ١٣٩٤هـ بالرياض .
- الصعيدي ، عبد المتعالي ، المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر دار الحمامي بالقاهرة (بدون) .
- الطويل ، توفيق (الدكتور) : الفكر الديني الإسلامي في العالم العربي إبان المائة عام الأخيرة ضمن كتاب الفكر العربي في مائة سنة ، بحوث مؤتمر هيئة الدراسات العربية عام ١٩٦٦م الجامعة الأمريكية ببيروت .
- الطنطاوي ، علي : محمد بن عبد الوهاب . سلسلة أعلام التاريخ (٧) الطبعة الأولى عام ١٣٨١هـ .
- عبد الرحيم ، عبد الرحيم عبد الرحمٰن : الدولة السعودية الأولى . الطبعة الأولى القاهرة ١٩٦٩م .
- ابن عبد الوهاب ، عبد الله بن محمد (آل الشيخ) رسالة عامة عند دخول جيوش الدعوة مكة ضمن الهدية السنية لابن سحمان .

- ابن عبد الوهاب : محمد (الشيخ) .
- عدة رسائل ضمن تاريخ نجد لابن غنام تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد مطبعة المدني القاهرة ١٣٨١هـ .
- عدة رسائل ضمن الدرر السنية والتحفة الوهابية النجدية جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن قاسم الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ .
- عدة رسائل ضمن مجموعة التوحيد النجدية ـ مكة المكرمة ـ مطبعة الحكومة عام ١٣٩١هـ .
- المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية . تعليق محمود شكري الألوسي المطبعة السلفية بمصر ١٣٩٤هـ .
- ابن عبد الوهاب ، محمد (الشيخ ، وآخرون) .
- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ـ مطبعة المنار بمصر عام ١٣٤٩هـ .
- مجموعة التوحيد النجدية ـ مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ١٣٩١هـ .
- مجموعة رسائل وفتاوي في مسائل مهمة تمس إليها حاجة العصر لعلماء نجد الأعلام ... جمع رشيد رضا مطبعة المنار ١٣٤٦هـ .
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية . جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن قاسم الطبعة الأولى عام ١٣٥٢هـ .
- ابن عبد الوهاب ، سليمان : الصواعق الإلٰهية في الرد على الوهابية ، طبع استانبول (بدون تاريخ) .
- العجلاني ، منير (الدكتور) : تاريخ العربية السعودية الجزء الأول . الدولة السعودية الأولى دار الكتاب العربي . بيروت .
- العابد ، صالح محمد (الدكتور) : دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ ـ ١٨٢٠ بغداد ١٩٧٦م .
- عطار ، أحمد عبد الغفور : محمد بن عبد الوهاب . الطبعة الثانية بيروت عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م)

ـ العقاد ، عباس محمود : الإسلام في القرن العشرين . دار الكتاب العربي . بيروت ١٩٦٩م .
ـ علي ، أحمد : آل سعود بيروت ١٩٥٧م .
ـ أبو عليه ، عبد الفتاح حسن (الدكتور) : الدولة السعودية الثانية الطبعة الأولى . مطبعة المدينة بالرياض ١٣٩٤هـ .
ـ العثيمين ، عبد الله الصالح (الدكتور) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .
ـ ابن غنام ، حسين : روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام ، طبع بابطين ١٣٦٨هـ .
ـ ابن غنام ، حسين : تاريخ نجد ـ حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد ، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ .
ـ الفقي ، محمد حامد : أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب الطبعة الأولى القاهرة ١٣٥٤هـ .
ـ ماضي ، محمد عبد الله (الدكتور) : النهضات الحديثة في جزيرة العرب الجزء الأول . الطبعة الثالثة ١٩٥٢م .
ـ مؤلف مجهول : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب . كتبه محمد جمال الريكي . تعليق عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف آل الشيخ . مطبوعات دارة الملك عبد العزيز .
ـ مؤنس ، حسين (الدكتور) : الشرق الإسلامي في العصر الحديث . الطبعة الثانية ١٩٣٨م .
ـ مصطفى ، أحمد عبد الرحيم (الدكتور) : حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث طبع ١٩٧١م .
ـ المنقور ، أحمد بن محمد : تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور تحقيق ونشر الدكتور عبد العزيز الخويطر الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ .
ـ الندوي ، مسعود : محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه

ترجمة وتعليق عبد الحليم عبد العظيم البستوني مراجعة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي . الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .
- هراس ، محمد خليل (الدكتور) : الحركة الوهابية - رد على تعال للدكتور محمد البهي في نقد الوهابية ، دار الكتاب العربي - بيروت .
- يحيى ، جلال (الدكتور) : العالم العربي (المدخل) دار المعارف بمصر ١٩٦٦م .

ثانيا : الدوريات :

- الجاسر ، حمد : ملاحظات مجلة العرب السنة الرابعة الجزء التاسع والعاشر (١٣٩٠هـ) دار اليمامه بالرياض .
- رشيد ، منصور : قضاة نجد أثناء العهد السعودي . مجلة الداره العدد الثاني السنة الرابعة رجب ١٣٩٨هـ .
- رابح ، تركي (الدكتور) : ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية الجزائرية مجلة الأصالة عدد ٢٤ نقلا عن عبد الحليم عويس مجلة كلية العلوم الاجتماعية العدد الخامس .
- السروجي ، محمد محمود (الدكتور) : موقف مصر إزاء بعض مشاكل الجزيرة العربية . المجلة التاريخية المصرية المجلد السابع ١٩٥٨م .
- السلمان ، محمد عبد الله : أثر الدعوة السلفية في العالم الإسلامي مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض العدد الأول ١٣٩٧هـ .
- الشطي ، إسماعيل : شخصيات في الميزان مجلة المجتمع الكويتية العدد ٢١٨ رمضان ١٣٩٤هـ .
- آل الشيخ ، حسن عبد الله : الوهابية وزعيمها محمد بن عبد الوهاب مجلة العربي الكويتية العدد ١٤٧ فبراير ١٩٧١م .
- ابن فوزان ، صالح (الدكتور) : تعقيب على كتاب الدعوة الوهابية

لعبد الكريم الخطيب، مجلة كلية أصول الدين بالرياض، العدد الأول ١٣٩٧هـ .
ـ العثيمين ، عبد الله الصالح (الدكتور) : نيبور ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض العدد الثاني ١٣٩٨هـ .
ـ العقاد ، صلاح (الدكتور) : دعوة حركات الإصلاح السلفي . المجلة التاريخية المصرية المجلد السابع عام ١٩٥٨م .
ـ عويس ، عبد الحليم (الدكتور) : أثر دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي في الجزائر مجلة كلية العلوم الاجتماعية العدد الخامس (١٤٠١هـ) .
ـ مسعد ، مصطفى (الدكتور) : أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على حركة عثمان دانفوديو مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض العدد الخامس (١٤٠١هـ) .
ـ منصور ، عثمان (الدكتور) : الوهابية أو الكفاح ضد الوثنية الجديدة . مجلة الخفجي العدد الرابع المجلد الخامس ١٩٧٥م .
ـ هويدي ، فهمي : المسلمون في الصين وعصابة الأربعة . مجلة العربي العدد ٢٦٥ محرم ١٤٠١هـ ديسمبر ١٩٨٠م .
ـ النشمي ، عجيل (الدكتور) : دولة الخلافة والحركة الوهابية مجلة المجتمع العدد ٥١٠ صفر ١٤٠١هـ .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

1— Ahmad, Qeyamudin: The Wahabi Movement in India, Calucutta 1966.

2— Akdes, Mumet Kurat: The Cambridge History volume. 1, Cambridge 1970.

3— Kerr, Malcolm, H, Islamic Reform - The Political and Legal theories of Mohammad Aplug and Rashid Rida – University of California-press Barkley and Los Angeles-1966.

4— Laoust, Henri: Sociales et Politiques de take-d-din Ahmad-B. Taimiya 1939.

5— Nicholson, R.A., A Literary History of the Arabs, Cambridge 1969.

6— Niebuhr. C, Travels through Arabia and other countries in the east Edinburgh. 1792 Vol. 2.

7— Palgrave. W.G: Narrative of A Year's Journey through Central and Eastern Arabia (1862-1863) London 1865.